



الجهود العسكرية لطبقة العامة في الأندلس منذ

عصر الأماة حتي نهاية عصر الموحدين

(١٣٨-٦٦٧هـ/٧٥٦-١٢٦٩م)

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

د/ حاجي جابر عباس محمود

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2025.408137.2281

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - المجلد (٣٤) العدد (٦٨) يوليو ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

<https://qarts.journals.ekb.eg>

موقع المجلة الإلكتروني:

الجهود العسكرية لطبقة العامة في الأندلس منذ عصر الأماة حتي نهاية عصر الموحدين (١٣٨-١٦٦٧هـ/٧٥٦-١٢٦٩م)

الملخص:

يتناول البحث الجهود العسكرية التي يقوم بها العامة في الأندلس منذ بداية عصر الأماة حتي نهاية عصر الموحدين (١٣٨-١٦٦٧هـ/٧٥٦-١٢٦٩م)، وقد توصلت خلال هذه الدراسة أن الجهود العسكرية لطبقة العامة تنقسم الي قسمين جهود إجبارية وجهود تطوعية.

وبينت الدراسة أن الجهود الإجبارية تتمثل في إصلاح الأسوار التي تهدمت أو أصابها ضرر، ودفع المغارم التي تفرض عليهم أوقات الحرب والمعاون التي يحتاجها الجيش، حيث كانت كل مدينة أو إقليم مكلفة بحشد عدد من المقاتلين لمساندة الجيش، كذلك استوجب عليهم استضافة الجيوش المتحركة، وذلك بإخلاء منازلهم والسماح لهم بالسكن معهم فيها.

أما الجهود التطوعية فتتمثلت في المبيت في الأسوار علي، كذلك وضع العامة جزءاً من ممتلكاتهم للمجهود العسكري، كمن حبس فرسه أو حانوته للجهاد، ووصل الأمر بالعامة الي مساندة الحكام في فداء الأسري، وذلك بجمع الأموال لفك أسراهم، وعدم الاعتماد علي السلطة فقط في هذا الشأن.

ومن خلال دراسة المصادر التاريخية والجغرافية وكتب النوازل ومؤلفات الشروط الأندلسية، اثبت البحث ما قدمه العامة من جهود علي سبيل التطوع أو الإلزام.

الكلمات المفتاحية: الجهود العسكرية، طبقة العامة، الأحباس، النوازل، الجهود الإجبارية، التطوعية

مقدمة

واجهت بلاد الأندلس العديد من الفتن والثورات والمعارك والحروب خلال الفترة محل الدراسة منذ عصر الأماة الأموية ثم عصر الخلافة ثم سيطرة الأسرة العامرية ،وتبعهم عصر ملوك الطوائف ،وعصر المرابطين والموحدين، ولذا تنوعت الجهود العسكرية للعامة في الأندلس ما بين الجهود الإجبارية والجهود التطوعية، واختلفت هذه الجهود عبر العصور المتتالية للأندلس وهذا تبعاً للتحديات السياسية التي واجهتها، كما تعددت الجهود ما بين التجنيد الإجباري وضيافة الجند أثناء تحرك الجيش إلي ساحة المواجهة مع أعداء الداخل والخارج، مثل: نصاري إسبانيا أو المتمردين علي الدولة ، بل وصل بهم الأمر إلي حد الاتصال الوقي في زمن المعركة والانفصال بعدها، ومن الجهود الإجبارية "الضرائب المختلفة" التي كانت تفرض بغرض تدبير نفقات الجيش من عتاد وغيره ، وكذلك "بناء وإصلاح الأسوار" التي تهدمت من جراء الحرب أو الثورات الداخلية نظراً لضرورة كون الأسوار سليمة وشامخة طول الوقت بدون ثغرات.

ومن بين تلك الجهود التطوعية للعامة "المبيت في الأسوار" وحراستها دون تكليف من القادة أو الحكام أو الولاة، وقد كان وجودهم بقصد الحراسة أو التواجد مع الحراس لتعليمهم القرآن والسنة، كون المبيت في الأسوار أو الحصون قريب من وظائف ومهام الرباط المتعددة، كذلك من الجهود التطوعية "الحبس بممتلكات خاصة" توجه إلي الجهاد ضد نصاري إسبانيا، والتي وثقتها عدد من العقود التي وردت في مؤلفات الشروط الأندلسية وكذلك "فداء الأسري" .

أولاً: الجهود الإجبارية

إصلاح الأسوار

تعد الأسوار الأندلسية ذات الأبراج من الموضوعات المعقدة صعبة التنفيذ، وذلك لأسباب منها: عدم استواء الأرض التي يتم بناء المدن والحصون عليها، لذا نجد أنفسنا أمام مخططات شديدة التنوع للأسوار ،وكذلك اختلاف طرق ومواد بناء تلك الحصون

والأسوار، بالإضافة إلى الترميمات والإصلاحات التي شهدتها الأسوار سواءً خلال العصر الإسلامي أو العصر المسيحي، ويعد البرج والصور مكونان من أكبر المكونات في التحصينات القديمة ، ومن حيث الشكل نجد أن: الأسوار ذات شكل مربع أو مستطيل أو اسطواني، ويعد الاسطواني أهم هذه الأشكال؛ لأن من خلاله تستطيع مراقبة العدو من أكثر من جهة أو مكان ، ويكاد يخلوا من نقاط الضعف والتي تتمثل أهمها في الزاوية ، كما اتسمت الأسوار بالتعقيد الإنشائي من المنظور الداخلي ومن المنظور الخاص بالوظيفة الأساسية لها وهي دفاعية هجومية في آنٍ واحد ^(١).

كان إصلاح الأسوار وحرصاتها من واجبات العامة حيث أن إصلاح السور أيضًا يقع على كاهلهم، سواء كان ذلك بالمجهود البدني أو المالي ، ولم يكن ذلك بالود دائمًا، بل كان بالقوة والإرهاب أيضًا إذا ما لوحظ التقاعس والإهمال ، ويذكر أنه "كان إصلاح الأسوار واجبًا على أهل كل مدينة فرضت لها ضريبة والتي أطلق عليها (المعونة)، والمعونة: هي ما جرت به العادة في الأندلس من وجوب إصلاح أهل كل حي في المدينة أسوار الجهة التي يسكنها وبدأ العمل في إصلاح أسوار قرطبة"^(٢) عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م

(١) باسيليو يابون مالدونادو: العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون، ترجمة علي إبراهيم منوفي، مراجعة محمد حمزة الحداد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، مج ١، ص ٦٤١- ٦٤٣ ، ليوبولدو توريس بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح الي سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة علي عبد الرؤف، علي إبراهيم، السيد عبد الظاهر ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ ، مج ٢، ص ١٠٤ .

(٢) ومدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها ودار الخلافة الإسلامية وفصائل أهل قرطبة. أشهر من أن تذكر ومناقبها أظهر من أن تستر وإليهم الانتهاء في السناء والبهاء بل هم أعلام البلاد وأعيان العباد ذكروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي في الملابس والمراكب وعلو الهمة قي المجالس والمراتب وجميل التخصيص في المطاعم والمشارب مع جميل الخلاق وحמיד الطرائق ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء وسادات الفضلاء وتجارها مياسير لهم أموال كثيرة وأحوال

ولعل القاضي ابن المناصف^(١) أخذ الناس ببعض الشدة في ذلك مما أدى الى ثورة أهل قرطبة عليه ورجمهم إياه، وربما كان ذلك هو السبب الذي أدى إلى عزله بعد سنتين ٥٢٨هـ / ١١٣٤م. (٢)

أما الأسوار التي تهدمت -ولا حاجة للناس بها - فكانت تجري عليها مجري الأحباس والأوقاف فلا يجوز هدمها أو الاستفادة بأحجارها، وتعددت نوازل المعيار فيما يخص الأسوار، وعن مسألة في سور تهدم أكثره فهل يهدم باقيه لعدم الحاجة إليه؟، فكان الحكم أن أسوار المسلمين من مصالحهم مجراها مجرى أحباسهم وأوقافهم التي لا يجوز

واسعة ولهم مراكب سنية وهمم عليّة وهي في ذاتها مدن خمسة يتلو بعضها بعضاً بين المدينة والمدينة سور حاجز وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد وهي في سفلى جبل مظل عليها يسمى جبل العروس ومدينتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميّة وطولاً وعرضاً، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٢٠ [الإدريسي: نزهة المشتاق. مج ١، ص ٥٧٤-٥٧٥.

(١) ابن المناصف: محمد بن عيسى بن محمد بن اصبح الأزدي القرطبي القاضي المالكي المعروف بابن المناصف ولي قضاء بلنسية ثم قضاء مرسية، وصرف، فسكن قرطبة، وحج وأقام بمصر قليلاً، وعاد فمات بمراكش، له (المذهبة في الحلّى والشيات) وتنبيه الحكام - في سيرة القضاة وقبول الشهادات وتنفيذ الأحكام والحسبة، وكتاب في (أصول الدين) وآخر في السيرة النبوية والسنية في مقتضى المعالم السنية في الفروع والأدلة الشرعية عدد أبياتها سبعة آلاف واثنان. المذهبة في نظم الصفات من الحلّى والشيات. توفي سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م عشرين وستمائة، الصلة: ابن بشكوال ت(٤٩٤هـ-٥٧٨هـ / ١١٠١-١١٨٣م) تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ج ١، ١٩٨٩م، ص ٢٢٢ الزركلي: (خير الدين الزركلي)، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢، ج ٦، ط ٥، ص ٣٢٣.

(٢) ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ص ٢٢٢

تغييرها ولا نقلها عن مواضعها ولا هدمها ولا هدم شيء منها ولا تغييره عن حالته المتقررة^(١)

ولم يكن أمر الأسوار قاصراً على الأسوار الكبرى التي تحيط بالمدن فحسب ، بل أيضاً شملت أسوار البساتين التي تتعرض للغارات ، فهنا وجب بناءها وحمايتها ، وكذلك إذا فسدت أو تعرضت للمياه أو السيول وغيرها ، فلا بد من إعادة الإصلاح ، ولم يكن التسوير خاص بما يحيط بالمدينة فقط ، ولكن أيضاً خاص بالبساتين وسئل عن مرج فيه بساتين وزرع وهو مُحذر من بعض الجهات ومصرح من جهات أخرى ، أنه يجب أن يصيب بعض أهل المرج الغارة ، فألزم الوالي بضرب الطابية من الجهة المحظورة وإذا أصابه الماء وفسد فيطلب أهل الأطراف إصلاح ما انتلم من الطبيعة وإصلاح أرضهم التي نقل التراب عنها^(٢) لذا كانت حماية أسوار البساتين التي تتعرض للغارات أيضاً ضرورة ملزمة ، حتي وإن كان ماء المطر أو السيل هما من تسببا في التلف وليس العدو وضرورة إصلاح الأراضي التي نقل منها التراب.

ومن له جنان قرب سور البلد إذا خشي أن يطرقه العدو ، ومنه قيمته على أصول الشرع عموماً وعلى أصول مذهبنا خصوصاً ، وله في مذهبنا نظائر تشهد وله جبر مالکها على بيعه إن كان العدو متوقعاً ، وأما إن كان نازلاً ببلاد المسلمين فإن له هدمها عليه بغير ثمن إلا أن يكون اختلاطها وبنائها من قبل إنشاء السور ، فلا بد من دفع الثمن على كل حال وهذا كله إذا ظهر ضررها بالسوء ضرراً بيئاً والله تعالى أعلم^(٣) وهنا يوضح

(١) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، ج٨ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ١٩٨١ ، ج ٥ ، ص ٤٣٣ .

(٢) الونشريسي: المعيار ج ٩ ، ص ٦٨-٦٩ .

(٣) الونشريسي: المصدر السابق، ج ٩ ، ص ٢٢ .

صاحب النازلة بأن من له أرض بجوار السور وهناك عدوًا متوقعًا فهذا لأبد من شراء هذه الأرض منه ، لأن الضرر بها وشيك ومحتمل الحدوث خاصةً وإن كان وجودها قبل إنشاء السور ، ولو كان نازلاً ببلاد المسلمين فتهدم دون تعويضه مادامت بعد إنشاء السور ، أما إن كانت قبل إنشاء السور فضرورة تعويض صاحب البستان .

وكان ذوي الأملاك من العامة عليهم مسئولية كبيرة تجاه الأسوار وإعادة إعمارها والإنفاق في ذلك ، بل وكانوا يتحملون مسئولية من لا يستطيع منهم المشاركة كالأصغار والأيتام والضعفاء ، وأظهرت لنا كتب النوازل ضرورة تكاتف الناس وإصلاح الأسوار ، وهل ينبغي أن يقوم عليه أرباب الأملاك كما يجب عليهم تحمل العبء الثقيل ، وهناك النازلة التي تحدثت عن إصلاح سور مدينة فاس^(١) ومنها "وفيما وقع إلينا من أمر سور هذه المدينة فاس المحروسة بالله تعالى من تهدم بعد أرجائها وهل ينبغي أن يقوم عليه من جبره وبنائه وأن الذي يحتاج إلى ذلك من المال كثير وأن على أرباب الأملاك مسؤولية ذلك كله عليهم ، كما أشارت إليه عبء ثقيل وحمل كبير لا سيما في حق من هو منهم ضعيف أو يتيم أو صغير ولن تقع الإعانة لهم في ذلك بوفر أحباس الزوايا

(١) فاس بالسين المهملة بلفظ فاس النجار مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تخطط مراكش وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كلها عيونًا تسيل إلى قرارة واديها إلى نهر متوسط مستنبت على الأرض منبجس من عيون في غربها على ثلثي فرسخ منها بجزيرة دوي ثم ينساب يمينًا وشمالًا في مروج خضر فإذا انتهى النهر إلى المدينة طلب قراراتها فيفترق منه ثمانية أنهار تشق المدينة عليها نحو ستمائة رعى في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلاً ولا نهارًا تدخل من تلك الأنهار في كل دار ساقية ماء كبار وصغار وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس ، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠.

التي أسسها بعض بنات الملوك السالفة رضي الله عنهم لدفنهم بها أو ما يعرف منها ومن يجري مجراهم ممن له تعلق بالسلطنة وتمول منها^(١)

في كثير من الأحيان يكون هناك أحباس للأسوار تتحمل نفقات الأسوار من إصلاح وبناء وغيرها ، ولكن إذا صادف بعدم وجود إحباس أو أموال لبناء السور ولم يكن العامة يستطيعون تقديم مجهودهم في ذلك فلا شيء عليهم ، وإن ما يقدمه العامة ليس بالإجبار ولكن من منظور تحملهم للمسؤولية ، لحمايتهم وحماية أرضهم ، فلو تهدم السور فلا يجوز للحاكم إجبار الناس علي ذلك بالقوة ، ورد في كتب النوازل عن مدينة تهدم بعض سورها ويحتاج إلى الإصلاح ولا حبس عليهم ولا مال فيه فهل يجب إصلاحه على من بالمدينة من غني أو فقير سواء بينهم أو على قدر المال واليسر وإنما يجب على ذوي المكانة خاصة ، وكيف إن امتنعوا من ذلك هل يجبرون أم يندبون خاصة أم لا يجبرون ولا ينفون أم يفرق بين الثغور وغيرها وكان الجواب بضرب أمثلة مشابهة في جملتها تنفي الجبر في هذه الأمور^(٢)

ويروي ابن القطان أنه في عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م، حدث أن توزع المال الذي ينفق في ذلك وسد ثلمات سوره وبني فيه أبراج جديدة وبني سورًا يحيط بالمقابر^(٣) مما يدل علي الاهتمام ببناء السور وفرض ميزانية للأسوار .

(١) الونشريسي: المعيار ج ٧، ص ٣٠٣.

(٢) الونشريسي: المصدر السابق ، ج ٥، ص ٣٤٧.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٥٠.

وورد أن بن تومرت المهدي (ت ٥٢٤هـ / ١١٣٠م) ^(١) وجه حملة إلى تازاجورت وهي غزوته الثامنة، ففتحها وأسر من بها ، واستطاع المرابطون استعادتها وقاموا ببناء سورها ^(٢) .

لا حرج في بناء برج علي صومعة لمعرفة أخبار العدو وعن قرية خربها النصاري وبقي جامعها قائم البناء وصومعة المسجد كذلك ، وللمسجد حبس كثير ، تألف منه حظ له قدر ، والجامع غني عنه ، فأراد أهل القرية بناء قامرة (قاهرة) على الصومعة المذكورة تكون إغاثة لأهل بلش ^(٣)، وأهل الأرحى ، والنوتية الهابطين إلى البحر ، وفيها خير كثير للناس ، فهل يسوغ لهم هذا ؟ أو يكون بناء هذه القامرة من أحباس هذا المسجد عليه وعلى إصلاح قرية ملتماس ، فأجاب : تكبير الصومعة المذكورة وجعلها قامرة لا يخرجها عن أن تبقى منارًا يؤذن بها إن عاد السكنى بالقرية المذكورة ، فصرف فائد الحبس المذكور فيها سائغ إن شاء الله ^(٤).

فرض المعاون والمغارم والحشود

وتدخل الأرامل واليتامى ضمن طبقة العامة التي تلتزم بدفع المغارم أو العمل بالأسوار لما لها من أهمية كبرى بالرغم من استثنائهم في أمور كثيرة إلا في العمل بالأسوار فلا استثناء لأحد منهم، وقد تناول الفقهاء دخول الأرامل واليتامى في بناء الأسوار، وسئل القاضي بن محسود عن قوم أرادوا بنيان حصنا لهم هو حيطة لجميعهم

(١) كليفورد. ١. بوزورث: الأسرار الحاكمة في التاريخ الإسلامي دراسة في التاريخ والأنساب، سليمان إبراهيم العسكري ط٢، مؤسسة الشراع ، الكويت ، ١٩٥٥، ص ٥٦.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق، ص ٢٢٤.

(٣) بلش بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة بلد بالأندلس ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي رجل من أهل الصلاح والعلم ذكره ابن الفرضي، الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٨٤.

(٤) الونشريسي: المعيار ج ٧، ص ١٤٨-١٤٩.

هل يلزم مغرمه الأرملة واليتيم فأجاب نعم ومن هنا يتضح أن بناء الأسوار والإقامة فيها وترميمها لا تسقط حتى عن الأرملة ولا اليتيم لما لها من أهمية كبيرة في الدفاع عن الأرض والدفاع عن الوطن^(١)

وسئل ابن أبي زيد عمن كان في جيش الظلمة وربما غصب قوم فحصل له شيء يسير فهل يلزمه أخذ خاصة أو ما أخذ الجيش فأجاب: أن كان رأس الجيش ولولا هو لم يكن ما كان فعليه غرم الجميع وإن كان لا رأي له ولا وجه فعليه غنم ما أخذ خاصة^(٢)

وفرض المعاون والمغارم على المسلمين قد يؤدي إلى الثورة، مثلما حدث في عهد الحكم حيث كانت للحكم الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)^(٣) غزوات شهيرة وأنكر الناس عليه أموراً كثيرة وافترض المعاون والمغارم على المسلمين فسار به أهل الرض بقرطبة سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧م، الثورة الشهيرة وناذبوه وجأهروا بخلعه، ورجعوا إلى باب قصره في السلاح و أحاطوا به في أمم لا يحصيها إلا الله ، وفيهم الفقهاء الجلة وأهل الفتيا مثل طالوت الفقير ويحيى ابن يحيى الراوية عن مالك وأخوه وأمثالهم ،وذعر الحكم مما رآه وغلف رأسه ولحيته واستبسل للموت وتوافد إليه كثير من خدمته واستركب عبيده وحجابه وأعمل السيف يومئذ في أهل الرض، فقتل منهم أزيد من عشرة آلاف رجل وجلي عن قرطبة أضعاف ذلك^(٤) وذلك عرف تاريخياً باسم ثورة الرض بسبب الناس للحكم وتمكن من القضاء عليهم .

(١) الونشريسي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٥٣.

(٢) الونشريسي: المعيار ج ٦، ص ١٤٩.

(٣) كليفور. ١. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٣٣.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ا.لوفي بروفنسال، دار المكشوف، ط٢، لبنان، ١٩٥٦، ص ١٥.

هو في سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م توفي القاضي أبي عبد الله بن حميد^(١) وحزن الناس عليهم وكان محببا لهم وللمتلثمين وكان حاز في المكانة ما لم يحزه غيره من سلف وكان جميل الطريقة ساعيا في كل خير فقطع الضرائب والمعاون عن أهل قرطبة وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة لأن يوسف بن تشفين (٤٥٣هـ/١٠٦١م)^(٢) كان لا يخالفه في شيء وكان ذكيا واسع الفهم سريع الخاطر رقيق الطبع فقيها أدبيا بليغا شاعرا كاتباً قادمًا ورعاً^(٣) وهذه الضريبة لم تكن دائمة التحصيل طوال عصر المرابطين.

واختلف الفقهاء في أحقية العامة الذين يشاركون في خدمة الجيش في حقهم في الغنيمة، في ومن يعمل لصالح الجيش فله سهم من الغنيمة ، وأما الذين يحرسون سهمهم، وكذلك من نهض إلى ما يقرب من المحلة. ولو أرسل أحداً في حاجته ثم وقعت الغنيمة، فأفتى ابن رشد بأنه لا شيء له. ورأيت أن له سهمه، لأنه في منفعة الجيش والمسألة مجملة في النوادر، وقال ابن المواز: لو بعث الإمام قوماً من أهل الجيش قبل أن يصل إلى العدو في مصلحة الجيش أو إقامة سور فاشتغلوا في ذلك حتى غنم الجيش لهم سهمهم^(٤)

وبعث أمير المسلمين علي بن يوسف (٥٠٠هـ/١١٠٦م)^(٥) في الوقت نفسه، كتابه إلى الأندلس، بوجوب إنشاء الأسوار، فأرجئ النظر في ذلك حتى صرف الأمير تميم عن ولاية الأندلس وجاز إلى مراكش وهناك توفي، وقُدِّم أبو عمر يناله اللمتوني على غرناطة، وقدم أبو حفص عمر بن أمير المسلمين على قرطبة. وعمد يناله إلى

(١) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي قاضي الجماعة بقرطبة ولد في سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، وتولي القضاء في قرطبة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، وكانت وفاته ٥٠٨هـ/١١١٤م ابن القطان: نظم الجمان، ص ٧٠.

(٢) كليفورث. ١. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٥٤.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان، ص ٧٤.

(٤) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج ٢، ص ٢٤.

(٥) كليفورث. ١. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٥٤.

تعتيب غرناطة وفرض " المعتب " (إتاوة الدار) على سائر أهلها، واشتد في تحصيل المال، وأصلحت الأسوار وأكملت في أقرب وقت. ثم جاء سيل شديد فصدم الأسوار، وسقطت منها أجزاء كبيرة مما يلي باب الرملة وباب البيرة^(١)، وهلك كثير من الناس. وتولى أهل قرطبة إصلاح أسوارهم ورممها على سالف عادتهم، دون تعتيب ودون ضغط. وكذلك فعل أهل إشبيلية نحو أسوارهم، فجمعت النفقة بأيسر أمر، ودونما إجحاف، وأقيمت الأسوار وأصلحت.

وتولى النظر في إصلاح أسوار المرية^(٢) رجل من أهلها يعرف بابن العجمي، فاستعمل الحزم والرفق معاً، وأبدى الناس إقبالا على أداء الإتاوة المطلوبة، وأصلحت الأسوار وأكملت دون ضغط ولا إرهاق.^(٣)

(١) البيرة من مدنها غرناطة وهي دار الإسلام وبها جبل بشلير الذي لا يذوب عنه الثلج وبها حمامات كثيرة التي في الأندلس فألفها أصل والنسبة الإلبيري ذكر في حرف الألف بيرة بالفتح كذا ضبطه الحميدي وقال هي بليدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس ولها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مرسية والمرية قال سعد الخير وأما الحميدي فإنه قال هي بالأندلس ولم يزد وقال ابن الفقيه بيرة جزيرة فيها اثنتا عشرة مدينة وملكها مسلم يقال له في هذا الوقت سودان بن يوسف وهي في أيدي المسلمين منذ دهر وأهلها يغزون الروم والروم يغزونهم ومنها يتوجه إلى القيروان هكذا قال ولا أعرف هذه الجزيرة ولا سمعت لها بذكر في غير هذا الموضع وكان ابن الفقيه في حدود سنة ٥٤٣ هـ ، مجهول: ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٩، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٦.

(٢) المرية بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحتها يجوز أن يكون من مرى الدم يمرى إذا جرى والمرأة مرئية ويجوز أن يكون من الشيء المري فحذفوا الهمزة كما فعلوا في خطية وردية وهي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب يضرب ماء البحر سورها ويعمل بها الوشي والديباج فيجاد عمله وكانت أولا تعمل بقرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يثقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية ودخلها الأفرنج خذلهم الله من البر والبحر في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، ثم استرجعها المسلمون سنة ٨٦٩ هـ / ٢٥٥ م وفيها يكون ترتيب الأسطول الذي للمسلمين ومنها يخرج إلى غزو الأفرنج وبني سورها عبدالرحمن الناصر ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م، وهو سور منيع من الصخر، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٧٧، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٩.

(٣) محمد بن عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ٣، ص ١١٥.

وكان تطوع العامة في أثناء الحرب من أهم الجهود العسكرية التي يقدمها العامة، حيث كانت كل مدينة أو قرية تستنفر من أبنائها عددًا للجهاد ضد أعداء الإسلام نوقد أورد ابن حيان في كتابه المقتبس عدد الفرسان المستنفرين من مختلف المدن الأندلسية "وكان الأمير محمد - رحمه الله - مهتماً بأمور رعيته، مراقباً لمصالحها. ووضع عن أهل قرطبة ضريبة الحشود والبعوث. وقال ابن حيان: كانت عدة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة إلى جليقية في مدة الأمير محمد مع الولد عبد الرحمن ابنه على هذه التسمية المفصلة: من ذلك كورة البيرة ألفان وتسعمائة؛ جيان^(١): ألفان ومائتان؛ قبرة^(٢) ألف وثمانمائة؛ باغه: تسعمائة؛ تاكرنا^(٣) مائتان وتسعة وتسعون؛ الجزيرة^(٤) مائتان وتسعون؛ إستجة^(٥) ألف ومائتان؛ قرمونة^(٦): مائة وخمسة وثمانون؛ شذونة^(٧): ستة آلاف

(١) جيان: بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلدانا، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٤٦، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٥.

(٢) قبره: قبله من قرطبة عليها من اقري ستمائة ونيف وثلاثون وسبعون حصن وثلاثمائة برج ، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٤٥.

(٣) كثيرة الجبال والحصون وبها حصون منيعة ومن مدنها رنده مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٨.

(٤) الجزيرة الخضراء علي ضفة بحر الزقاق برية بحرية ذات مياه عذبة ومرساها أقرب المراسي الي العدو، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٧.

(٥) استيجة: هي علي جبل شنيل المنبعث من جبل شلير، مجهول: المصدر السابق، ص ٦٩.

(٦) قرمونة: مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية، وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلاً، وهي مدينة كبيرة قديمة وهي باللسان اللطيني: كارب مويه - وهي الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة، معناه " صديقي ". وهي في سفح جبل عليها سور حجارة من بنيان الأول كان تثلم في الهدنة ثم بني في الفتنة، وجناباتها حصينة ممتنعة على المحاربين إلا من جهة الغرب، وارتفاع سورها هناك أربعون حجراً وبالذراع ثلاث وأربعون ذراعاً، الحميري: الروض المعطار، ج ١، ص ٤٦١.

(٧) شذونة بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة، مجهول: ذكر بلاد الاندلس، ص ٦٤. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٩.

وسبعمائة وتسعون؛ رية^(١) ألفان وستمائة؛ فحص البلوط^(٢): أربعمائة؛ مورور^(٣) ألف وأربعمائة؛ تدمير: مائة وستة وخمسون؛ رينة: مائة وستة؛ قلعة رباح وأوربط: ثلاثمائة وسبعة وثمانون. قال: ونفر من أهل قرطبة لهذه الغزوة عدد لم يوقف على قدره. وكان هذا العدد الذي غزا به بعد أن رفع الضريبة التي كانت على أهل قرطبة وأقاليمها وغيرها من البلاد؛ وقطع عنهم الحشود التي كانوا يؤخذون بتجديدها في كل سنة للصوائف الغازية لدار الحرب، وأسقطها منهم ووكلمهم إلى اختيار أنفسهم في الطوعية للجهاد من غير بعث. فحسن موقع ذلك منهم، وتضاعف حمدهم له وشكرهم واغتباطهم بدولته"^(٤)

وكانت الحشود ليس فقط الرجال وإنما كان على كل إقليم أو مدينة إرسال الناض(وهو المفروض على كل مدينة إرساله في أوقات الحرب) لتسير الجيوش مثل

(١) رية قبلة من قرطبة بها حصون منيعة وهي مدينة عريقة وبحرها سلك في نهراها وبها تين وزيتون ولوز وعنب ورمال مجهول: المصدر السابق، ص ٦٨.

(٢) فحص البلوط: ناحية بالأندلس تتصل بجوف أوريث بين المغرب والقبلة من أوريث وجوف من قرطبة يسكنه البربر وسهله منتظم بجمال منها جبل البرانس وفيه معادن الزئبق ومنها يحمل إلى جميع البلاد فيها الزنجفر الذي لا نظير له وأكثر أرضهم شجر البلوط ينسب إليها المنذر بن سعيد البلوطي القاضي بالأندلس، بينه وبين قرطبة مرحلتان أو ثلاث، ومن هذا الفحص جبل البرانس، وفيه معدن الزئبق ومن هناك يُحمل إلى الآفاق، وبهذا الجبل الزيتون المتناهي في الجودة، الحميري: الروض المعطار ج ١، ص ٣٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩٢.

(٣) مدينة متصلة بكورة اشبيلية وبينها وبين قرطبة ستون ميلا وبها قري كثيرة وجبال، مجهول: ذكر بلاد الاندلس، ص ٦٣.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي ٢٠١٣م، ج ٢، ص ١٢٥.

إقليم المدور^(١). وكان الناض ثلاثة آلاف متقال^(٢) وتسعمائة وثمانون، وإقليم القصب^(٣) وكان الناض أربعة آلاف وسبعمائة واثنان، وإقليم لورمر^(٤) وكان الناض ألفان وأربعمائة واثنان وسبعون مثقالاً، إقليم الصدف^(٥) وكان الناض سبعمائة وخمسة وسبعون، إقليم منيانه^(٦) والناض سبعمائة متقال، إقليم كرتش^(٧) والناض سبعمائة، إقليم القتشل^(٨) والناض ثمانمائة دينار^(٩)، أليم وابه الملاحة^(١٠) والناض للحشد سبعمائة اثنان

-
- (١) عدد قراه في المغارم تسعون قرية، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميغيل اسين مدريد، ١٩٨٣، ص ٤٠.
- (٢) المتقال: وزن المتقال الذهبي الإسلامي يمكن تحديده بدرجة عالية من الدقة ولكن يلزمنا هنا أن ننطلق من قطع النقود نفسها بل من صنع الزجاج التي صنعت لتعبيها، فالتر هانتس: المكايل والموازين، ص ٩.
- (٣) إقليم القصب وفيه سبع وثمانون قرية وثلاثون برجاً وسبعة حصون، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٤٠.
- (٤) إقليم لورمر وفيه ثلاثة حصون وأربع وستون قرية وستة عشر برجاً، مجهول: المصدر السابق، ص ٤٠.
- (٥) إقليم الصدف وفيه ثمانية حصون وعشرون برجاً وثمان وعشرون قرية، مجهول: المصدر السابق، ص ٤٠.
- (٦) إقليم مليانة وفيه أربعة حصون وثلاثة عشر برجاً وست وعشرون قرية، مجهول: المصدر السابق، ص ٤١.
- (٧) إقليم كرتش وفيه عشرة حصون وستة وعشرون برجاً وستون قرية، مجهول: المصدر السابق، ص ٤١.
- (٨) إقليم القتشل وفيه ثلاثة حصون وسبعة أبراج وثمان وأربعون قرية، مجهول: المصدر السابق، ص ٤١.
- (٩) الدينار: وزن يساوي نظرياً مثقالاً واحداً و كوزن سبيكة ذهبية ٤.٣٣٣ غم، فالتر هانتس: المكايل والموازين وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كايل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، ص ٢٩، علي جمعه: المكايل والموازين الشرعية، دار القدس للإعلان والنشر، ط ٢٠٠١، ص ١٩.
- (١٠) إقليم الملاحة وفيه ستة حصون وسبعة عشر برجاً وأربع وثمانون قرية، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٤١.

وسبعون مثقال، إقليم وابه الشعراء إقليم الشعر^(١) والناض مائة وثمان وتسعون مثقال، إقليم أولية السهلة^(٢) والناض سبعة آلاف وثمانية وثلاثون مثقال^(٣)

استضافة الجند والتجنيد الإجباري

كانت من ضمن التكاليفات الإجبارية لأهل الأندلس "ضيافة الجند في أوقات الحرب"، أو أثناء تحرك الجيش الي وجهة معينة ، وكانت أحيانا الظروف الخارجية والأوضاع السياسية هي المتحكمة في تقبل العامة لهذا التكليف إما بسعة صدر وإذعان وإما بتمرد وعصيان.

ومن ضمن الأحداث التي تعد مثالا علي الرفض لهذا التكليف _حتي وان كان رفضا وقتيا أو اقتادته الظروف والأحداث السياسية -ما حدث في عصر الطوائف، عندما خلع أهل إشبيلية القاسم بن محمود؛ لإرساله إلي ابنه وهو في الطبرورة بإخلاء ألف وخمسمائة دار لوجوه البربر ، فأمتعض أهل إشبيلية لذلك فاتفقوا علي أن يضبطوا مدينتهم ويخلعوا طاعة القاسم^(٤).

وسئل عن الدار إذ عرفت بنزول الأجناد فباعها بائع ولم يبين فهل يكون للمشتري الرد بذلك أم لا ، والإجابة ليس عيبا لأنه يزول وليس بالعيب الذي يدوم ولا هو عند بعض الناس مستنقل فإنهم يسكنون معهم ، وما زال الأمير ينزل بجنوده في كافة البلدان

(١) وفيه عشرون حصنا وأربعون برجا وتسعون قرية، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٤١.

(٢) إقليم السهلة وفيه ستة وعشرون حصنا وخمسة وثلاثون برجا ومائة قرية وقرتان، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٤١.

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٢١-١٢٧.

(٤) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، نشر إلفي بروفنسال، دار الكتاب المصري القاهرة، ١٩٤٨، ص ٩٤.

وكان الأمراء الأولون يفعلون ذلك ^(١) . فقد كان سكن الجنود لبعض الدور أوقات الحرب ليس من المكروهات في الأندلس ويجوز بيع هذه البيوت وشرائها لأن ذلك وضع مؤقت. وكان تكليف العامة بمغارم مثل الذهاب إلي الحرب وغيره بسبب سخط الحاكم على الرعية مثلما فعل علي بن حمود في أمارته حيث فرض كثير من المغارم ، حيث أستمر مع أهل قرطبة نحو ثمانية أشهر في أحسن عشرة ، ثم أنس منهم الكراهية لدولته، فعزم علي القضاء علي أهل قرطبة والعودة للساحل لجمع شمل البرابرة فيضرب بهم جميع الأندلس ، فصب علي أهل قرطبة ضروبًا من أشكال التنكيل والمغارم ، وانتزاع السلاح منهم ، وهدم دورهم وقبض أيد الحكام عن إنصافهم ، وأغرم عامتهم ^(٢).

وكانت للحكم غزوات شهيرة. وأنكر الناس عليه أمورًا ، منها : إطلاق يد ربيع القومس متولي المتعاهدين بالأندلس من النصارى، وكان حظيًا في رجاله ، سوغه افتراض المعاون والمغارم على المسلمين، فثار به أهل الربض بقرطبة سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م -الثورة الشهيرة- وناذوه ، وجأهروا بخلعه ، ورجعوا إلى باب قصره في السلاح وأحاطوا به في أمم لا يحصيها إلا الله ، وفيهم الفقهاء الجلسة وأهل الفتيا مثل طالوت الفقيه ، ويحيى بن يحيى الراوية عن مالك، وأخيه، وأمثالهم. وكان من جملتهم جد لنا يعرف بابن وزير، تمن طرحت النوي بركابه، واستقر بطليطلة ، ومنها تحول إلى مستقرة بلوسة، فكان خطيبًا، وله ينتسب بيتنا من بعد النسبة الأولى ^(٣).

واستضافة الجند تفرض حتي على أهل الذمة ، حتي إذا كانوا أهل ذمة يزيد بقدر يسرهم ويضع بقدر حاجتهم. وأما أهل الصلح بينهما صالحوا عليه لا غير. وأما ما ذكر

(١) الونشريسي: المعيار، ج ٥، ص ٤٧-٤٨.

(٢) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧، مج ١، ص ٩٩.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ١٥.

عن عمر أنه: يفرض عليهم مع ذلك نفقة وكسوة وضيافة ثلاثة أيام، فقد روى ابن المواز^(١) عن مالك أنه قال: يوضع عن أهل الجزية ضيافة ثلاثة أيام لأنهم لم يوف لهم. وهذا يدل على أنها لازمة وفاء بما عاهدوا عليه^(٢)

ومن لدن سنة ٣٨٨هـ/٩٨٨م ، صدر الأمر من المنصور (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠١م) بإعفاء الناس من إجبارهم على الغزو، استغناءً بعدد الجيش ، واستظهاراً بأصيل العز. وأسمعهم الخطباء ذلك بإثر قراءة كتب الفتح ، وعرفهم بأن من تطوع خيرًا ، فهو خير، ومن خف إليه. فمبرور ومأجور، ومن تتاقل ، فمعذور ، فتمت على الناس النعمة^(٣).

ثانيًا: الجهود التطوعية

المبيت في الأسوار

يعد من أهم الجهود الحربية التي شارك فيها العامة حراسة الأسوار والمبيت فيها، حيث تعد الأسوار أول من يستقبل الهجوم وتتولى عملية الدفاع الأولي عن المدن ولذا كانت حمايتها واجبة وضرورية، وكان هناك اشتراطات لمن يسكن هذه الأسوار ويعمل علي حراستها مثل القدرة البدنية ؟ وهناك بعض طوائف المجتمع التي تستثني من هذه الأعمال .

ونظراً لأهمية المبيت في الأسوار ضربت الأمثال الشعبية في الأندلس التي توضح ذلك مثل: "أتيس من عبود البايث الذي باع الجلابية وأشتري المقرع " وهنا يصور المثل الشعبي عبود الرجل البربري الذي باع ملابسه لكي يشتري العصا؛ لأنه يبيت في السور وهنا دليل علي أهمية العصا عن الثوب في المبيت، وهذا النوع من الحراس كان

(١) ابن المواز هو عبد الواحد بن محمد، أبو الفضل ابن المواز السليماني: قاض مالكي، من أهل فاس، الزركلي: الاعلام. ج ٤، ص ١٤٤.

(٢) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج ٢، ص ٤٣.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٦٨.

يطلق عليهم الديدبان أو ربيثة الجيش فهو الذي يرقب العدو عن كثب، ويراقب حركته بالليل والنهار (١).

يذكر البرزلي أن من يسكن الحصون لابد أن تتوفر فيه القوة على الحرس والعسس والخروج عند وقوع النفير، إلا أن هناك من يستثنى من هذا الأمر مثل الفاضل الذي لا يستغنى عنه ومن يعلم الناس القرآن الكريم بعكس ذلك لابد أن تتوفر القوة لمن يسكن الحصن (٢).

وفي بعض الأحيان كان يتم التغاضي عن هذه الفئة التي تستثنى من العمل في الأسوار، ربما لضرورة الحاجة إلى الحراسة أو اشتداد الخطر، ويحكى أنه كان أيام الفتنة بمالقه (٣) كان يطلب من أهل العلم مثل الإمام بن الفخار (٤) وقد كان حافظاً

(١) الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ص ١١٠-١١١.

(٢) البرزلي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار العرب الإسلامي ٢٠٠٢، ج ٥، ص ٤٢٢.

(٣) مالقة: بفتح اللام والقاف كلمة عجمية مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية عامرة أهلة كثيرة الديار، وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها بين الجزيرة الخضراء والمرية وهي مدينة مالقة مدينة حسنة حصينة ويعلوها جبل يسمى جبل فاره ولها قسبة منيعة وربضان لا أسوار لهما وبهما فنادق وحمامات وبها من شجر التين ما ليس بأرض وهو التين المنسوب إلى رية ومالقة قاعدة رية ومن مالقة إلى قرطبة في جهة الشمال أربعة أيام ومن مالقة أيضاً إلى غرناطة ثمانون ميلاً ومن مالقة إلى الجزيرة الخضراء مائة ميل ومن مالقة إلى إشبيلية خمس مراحل، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ١٩٨٠، ج ١، ص ٥١٧؛ الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس الحموي الحسني): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢، القاهرة، مج ١، ص ٥٧٠، الحموي: (ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله) معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، ج ٥، ص ٤٣.

(٤) محمد بن الفخار المالقي: فقيه ومحدث أندلسي، عاش في القرن السادس الهجري، ولد في مالقة وتوفي في مراكش ٥٩٠هـ، وكان يلقب بالفخار نسبة إلى جده وكان من أحفظ أهل زمانه حيث حفظ المقدمات لأبي الوليد بن رشد، وكتاب مسلم (الصحيح)، والتقصي لأبي عمر لابن عبد البر. أعلام مالقة، ص ١١٢.

للحديث وأسماء الرجال ربما طلب منه المبيت في السور أو نحو ذلك مما يجمع الناس إليه فكان لا يفارق كتابه ولا يفتر عن درس دولته ولم يزل على اجتهاده وهو إمام يرحل إليه حتى توفي رحمه الله (١)

أنه كان يتم استدعاء من لهم الكلمة في نفوس العامة للاستنفار وتولي مهمة الحراسة أو المبيت في الأسوار كأجراء لحظي اقتادته الأحداث مثلما طلب من ابن الفخار.

وصل حد الاهتمام بالسور إلي حد الاهتمام بالماء داخل المدينة، وتأخذ نفس الحكم ممد يدل علي أهمية الأسوار وحمايتها وإصلاحها، وورد في إحدى نوازل المعيار أن إصلاح الماء المجلوب إلى المدينة أهم وأولى من إصلاح السور حيث ورد "حكم الماء حكم السور بل أبعد منه في الجبر لقولكم بها آبار وقربها من الماء" (٢)

وفي بعض الأحيان كان الذهاب للأسوار وحراستها علي سبيل التسلية والسمر من العوام فكانوا يقضون ليلهم حول الأسوار، وكان أشياخ إشبيلية وأعيانها المحبين المخلصين لهذا الأمر العزيز يثمرون طول ليلهم على الأسوار ويسقفون أبواب المدينة بالثقاف طوال النهار ويتعوذ الجار من شر الجار وساء ظن الموحدين بالناس فسجن منهم من آتاهما وأمضى السيف والنكال على من صح عليه أنه غش الأمر وأجرم (٣)

(١) أبي عبد الله بن عسكر، أبي بكر خميس: إعلام مألقة، دار الغرب الإسلامي، ص ١١٢.

(٢) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج ٨، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ١٩٨١، ج ٨، ص ٤٣-٤٤.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب الأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ص ٧٠.

التحبيس

ومن مشاركات العامة في المجهودات العسكرية الطوعية هي التحبيس بمتلكات في سبيل الله وتعددت بين حبس خيول وغيرها، كانت هذه الخيول موسومة بسمه الحبس علي فخذ الفرس للتأكيد والتنبية أنه أحبسه صاحبه للجهاد في سبيل الله، وكان بعض أهل القرى يقومون ببناء قامرة لمساندة السلطة .

وسئل عن رجل حبس موضعاً ببلش على أن يبنوا أهل حصن صالحة برجاً بموضع يقال له عين طحمة خارج الحصن للحراسة يؤخذ فائد الموضع أو كراؤه في كل عام ويوضع فيما يحتاج إليه الطالع ، فلما جاءت الضرورة الآن لبناء الغامرة بالحصن، وبناء سلوكية على الفضلة داخل الحصن. ولا تم من يقوم بما يحتاج إليه من الدراهم الآن ولا معونة ، فهل يسوغ بيع الموضع ويؤخذ ثمنه ، وتم الإقرار بجواز ذلك ^(١).

وسئل ابن دحون عن رجل حبس حبساً وشرط أن ينفذ عنه في مصالح حصن من حصون المسلمين أو يقوم الأفراد بتحبيس أي مما يمتلكون علي منافع حصن في وجوه عدة فتغلب العدو على ذلك الحصن فهنا يجب إرسال الغلة إلي حصن في مثل هذه الوجوه ^(٢).

ويجوز وضع فرس كحبس للجهاد ولا يلزم المحبس علفه وتركه إلي من يلتزم علفه ليجاهد عليه ويكره بيع الفرس المحبس للجهاز وإذا تم البيع عليه أن ينقض ^(٣).

وسئل ابن رشد عن فرس حبس لله أخذه العدو ثم غنمه المسلمون وقوم بدنانير، فأجاب بأنه يأخذه بقيمته بمنزلة ما لو لم يكن حبساً، ويحتمل أن يأخذه بغير ثمن لنص الرواية، لأنه لا يقسم فصار كعبد أعتق ثم يسر فأخذه المسلمون، فلا شيء فيه، قيل

(١) الونشريسي: المعيار ج ٧، ص ١٤٠

(٢) الونشريسي: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢١٨.

(٣) الونشريسي: المعيار ج ٧، ص ٢١٨، ٥٨.

وهذا يجري على خلاف في ثبوت تحبيسه، والذي عليه العمل فيما جرى في مثل هذا وما يوجد على ظهور الكتب من التحبيس بغير شهادة أنه لا يعمل عليه حتى يثبت بشهود أنه بخط المحبس ويكون الأصل له، ويثبت خروجه ودخوله حتى يكون كالحوز فيه ، كما ذكر مالك في السلام^(١).

وسئل عن رجل من أهل الثغر وجد على فرس موسوم في فخذة حبس الله رفع إليه فلما كشف عن ذلك قال اشتريته ببلاد البربر ، فلما أتيت سجلماسة^(٢) خفت إن أغرم عليه أو ينزع مني فوسمته بها رجاء أن يطلق مالي .فالحكم بعدم جواز امتلاك فرس محبوس للجهاد في سبيل الله^(٣).

تحبس حوانيت علي الإنفاق منها لأسوار المدن والحفاظ عليها^(٤)، وعن حوانيت ببلد محبسة على سورها والحوانيت المذكورة لها أمد خالية من السكنى والسور المذكور قليل الخراج ، محتاج إلى الإصلاح ، فهل يسوغ جبر الناس على السكنى بحوانيت السور المذكور لما في ذلك من المصلحة للسور المذكور وتعود المنفعة في ذلك على أهل البلد المذكور مع أن ذلك مضرة على أهل الحوانيت المملوكة وعلى غيرهم من أرباب الحرف والتجار أي لما يؤدي إليه ذلك من السبب في قواهم والخوف عليهم؟ لا يجوز جبر الناس على السكنى في الحوانيت المذكورة^(٥).

(١) الونشريسي: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٨١-١٨٢.

(٢) سجلماسة: بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهي في منقطع جبل درن وهي في وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها من شماليها جدد من الأرض يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلاً مد البصر، الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٢.

(٣) الونشريسي: المعيار ج ٧، ص ٤٢٣.

(٤) الونشريسي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٣٣٠.

(٥) الونشريسي: المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٨-٥٩.

أحبس فلان بن فلان الفلاني فرسه الورد الأغر القارح في سنه .ووقفه للجهاد في سبيل الله عز وجل، ووسعه في فخذه بسمه الحبس / أو بسمه الكذا أو سيفه الهندي أو الإفرنجي أو السريجي، ليقا تل به أهل الاستحقاق في سبيل الله عز وجل، أو ديوانًا كذا عدد كتبه كذا . أو الحلي الجامع الذي له وصفته كذا ، أو ثوب ليمار ذلك كله أهل الضعف عند بناء أزواجهن عليهن (١).

"وفي حبس الفرس أنهم يعرفون فلان بن فلان قد حبس فرسه الذي هو في لونه كذا، وفي سنه كذا، ووقفه للجهاد عليه في سبيل الله ووسمه في فخذه بسمه الحبس، أو سيفه الكذا ليقا تل به في سبيل الله. وإن كانت كتبًا قلت: دفع ديوانًا كذا عدة كتبه كذا، ليستعيرها ثقات طلبة العلم للنسخ والمقابلة والدراسة، أو مصحفه الجامع (للقرآن) الذي صفته كذا ليعار لمن يريد القراءة فيه، ودفع المحبس فلان ذلك إلى فلان، وقبضه منه فلان، واحتازه دونه للوجه المذكور. شهد على إ شهاد المحبس فلان على نفسه بما ذكر عنه في هذا الكتاب من عرفه وسمعه منه، ممن أشهد القابض فلان على ما فيه عنه، وعرفه وعاین دفع المحبس ما فسر تحبيسه له إلى القابض فلان، ورأى قبض فلان لذلك، والمحبس في حين تحبيه لذلك بحال الصحة والجواز، وذلك في شهر كذا من سنة كذا. وهذا الكتاب على ثلاث نسخ (٢).

فداء الأسري

وكان المسلمون يبذلون أيضًا الأموال في افتكاك أسراهم، فمنهم من يفكه أهله، ومنهم من يفكه أصحابه، ومنهم من يفكه سلطانه. وقد تأسست عند المسلمين جمعيات

(١) ابن العطار: كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق ب.شالميتا ف.كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣، ص ٢٠٦.

(٢) الطليطي: المقنع في علم الشروط، ضحي الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٠٨-٢٠٩.

فداء الأسرى كما عند المسيحيين، وذلك أن فك العاني معدود من أفضل الأعمال في الإسلام وقد سأل النبي محمد(ﷺ) سائل عما يجب أن يعمل له لينال أفضل الثواب وتعلم أنه ليس من ضرب تحرير الرق عند الفرنج الذي فيه من الرياء ومن تسلط الأقوياء على فأوصاه النبي بتحرير الرقاب . وقد روى النويري "ولو ذريق شيميناس أنه في زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن(١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) بلغ من ظفر جيوش الإسلام أنهم بحثوا عن أسرى يفكونهم بالمال المجموع لذلك الغرض فلم يجدوا أسيراً مسلماً يفكونه" (١) وسأهم العامة أيضاً في فداء الأسرى وعندما أسر يحيى بن محمد بن عبد الملك علي يد المجوس (النورمان) ففداه رجل من التجار بألف مثقال. وقدم يحيى إلى سدة أمير المؤمنين عبد الرحمن، فأمر الذي فداه بتضعيف ما أداه فيه ٣٣١هـ/٩٣٤م (٢)

خاتمة الدراسة

- كان لطبقة العامة جهوداً ملموسة تجاه الجيش الأندلسي والدولة الإسلامية في أوقات السلم والحرب، وكان دورهم لا يقل أهمية عن الجنود النظاميين في أرض المعركة.
- كانت حماية الأسوار وإصلاحها وتحسينها وبناءها من أهم مجهودات العامة الحربية في الأندلس لما لها من أهمية كبرى في صد أي اعتداء علي المدن الأندلسية، وربما ذهب البعض الي الأسوار علي سبيل التسلية والسمر أو استشعارهم بالخطر .
- كان للأسوار ميزانية ويجري عليها مجري الأحباس وفي حال حدوث عجز كان العامة هم من يتحملون هذه النفقات سواء المالية أو المجهود البدني ، ولم يكن ذلك قاصراً علي الأسوار الكبرى ولكن أيضاً الأسوار البساتين والجنان التي تتعرض للغارة من قبل العدو أو التي تفسد من الأمطار وغيرها من العوامل الطبيعية .

(١) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى البابي، مصر، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٧٢-٧٣.

- أبرزت لنا مؤلفات النوازل الفقهية حكم الأراضي القريبة من الأسوار وكذلك المنازل والبساتين وذلك في حكم بيعها وشرائها .
- مشاركة كل فئات العامة في المجهود الحربي سواء كانوا أصحاب أملاك أو أرامل ويتامى أو أهل العلم كل له دور يؤديه علي أكمل وجه، سواء كان ذلك تطوعاً أو إجباراً، وكانوا يحبسون ممتلكاتهم سواء منزل أو حانوت أو فرس للمجهود الحربي.
- قيام المدن الأندلسية والأقاليم بإخراج مبالغ ضخمة وإعداد كبيرة من الرجال في أوقات الحرب ولم يكن الأمر قاصراً علي الجيوش النظامية فقط، وكان للعامة المشاركون في الحرب نصيب من الغنائم .
- كان من الضروري استضافة الجند من قبل العامة سواء بتقديم الطعام والشراب أو استضافتهم داخل منازلهم أو إخلاء منازلهم للجند ،حتي ولو كانوا من أهل الذمة .
- كانت عملية فداء الأسري تقوم أحياناً علي عاتق العامة ولم يكونوا يعتمدون علي السلطة في هذا الأمر بالكلية وإنما كانوا يفدون أبنائهم من أيدي نصاري أسبانيا .

قائمة المصادر والمراجع

- الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني) ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- البرزلي : (أبي القاسم ابن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي) ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار العرب الإسلامي ٢٠٠٢.
- ابن بسام : (أبي الحسن علي بن بسام الشنتري) ت ٥٤٢ / ١١٤٧ م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧.
- ابن بشكوال: ت (٤٩٤ هـ - ٥٧٨ هـ / ١١٠١ - ١١٨٣ م)
- الصلة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ج ١، ١٩٨٩ م.
- ابن الخطيب: (زي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب السلماي) ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م.
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط ٢، لبنان.
- الحموي: (ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله) ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م.
- معجم البلدان ، دار الفكر - بيروت.

- الحميري: (محمد بن عبد المنعم الحميري) ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م.
الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق ، حسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ١٩٨٠ .
- الزجالي : (ابي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي) ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م.
أمثال العوام في الأندلس ، تحقيق محمد بن شريفة، القسم الثاني ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي.
- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن صاحب الصلاة) ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م.
، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب الأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي.
- الطليطلي : (أحمد بن مغيث الطليطلي) ت ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م.
المقنع في علم الشروط، ضحي الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٠.
- ابن عذاري : (أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري) ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م.
البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تحقيق بشار عواد ، محمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ٢٠١٣م.
- العذري (أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي) ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م
نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد.
- ابن العطار: (محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار) ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م.
كتاب الوثائق والسجلات ، تحقيق ب.شالميتا ف.كورينطي، مجمع الموثقين
المجريطي المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣

- ابن القطان المراكشي: (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي) ت١٢٢٨هـ/١٢٣٠م.
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي ، دار الغرب الإسلامي.
- مجهول :ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميغيل اسين، مدريد ، ١٩٨٣.
- النباهي: (الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي) ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م. تاريخ قضاة الأندلس، نشر، إلفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٨.
- الونشريسي: (أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي) ت٩١٤هـ/١٥٠٨م.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ١٩٨١.
- باسيلييو يابون مالدونادو: العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون، ترجمة علي إبراهيم منوفي ، مراجعة محمد حمزة الحداد، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥.
- فالتر هانتس: المكايل والموازين وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كايل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية.
- الزركلي (خير الدين الزركلي): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين ، بيروت ٢٠٠٢.
- شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى البابي ، مصر .
- علي جمعة: المكايل والموازين الشرعية ، دار القدس للإعلان والنشر ، ط٢٠٠١، ٢.

- أبي عبد الله بن عسكر، أبي بكر خميس: أعلام مالقة، دار الغرب الإسلامي ، تقديم عبد الله المرابطي ، دار صادر بيروت ١٩٩٠.
- كليفورد ا. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي دراسة في التاريخ والأنساب ، سليمان إبراهيم العسكري ، ط٢، مؤسسة الشراع ، الكويت ، ١٩٥٥.
- ليوبولدو توريس بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح الي سقوط الخلافة القرطبية (٧١١_١٠٣١م)، ترجمة علي عبد الرؤف، علي إبراهيم ، السيد عبد الظاهر ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، .
- محمد بن عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

The Military Efforts of the Common People in al-Andalus from the Emirate Period to the End of the Almohad Era

(138–667 A.H. / 756–1269 A.D.)

Abstract:

This research examines the military efforts undertaken by the common people in Al-Andalus from the beginning of the Emirate period until the end of the Almohad era (138–667 AH / 756–1269 CE). The study comes up with that the military contributions of the public were divided into two main categories: compulsory efforts and voluntary efforts. The compulsory efforts, as tackled in the study, included the repair of city walls that had been damaged or destroyed, the payment of war taxes (maghārim) imposed during times of wars, and the provision of supplies and assistance required by the army. Furthermore, each city or region was responsible for mobilizing a specific number of fighters to support the military forces. The public was also obligated to host mobile armies by evacuating their homes or sharing them with the soldiers. As for voluntary efforts, they included spending the night on the city walls, guarding them as a form of social gathering or entertainment. They also dedicated parts of their property to support the military effort; some people would allocate their horses or shops for jihad. The common people even went so far as to assist the authorities in ransoming prisoners, collecting money to secure the release of Muslim captives which points out their refusal to rely solely on the ruling powers in such matters.

By examining historical and geographical sources, as well as Andalusian legal texts, fatwa collections, and works on contracts and conditions, the research confirms the substantial role played by the public—whether through mandatory service or voluntary commitment—in supporting the military and societal structure of Al-Andalus.

Keywords: Military efforts – The common people – Endowments – legal responsa (Nawāzil) – Compulsory efforts – Voluntary efforts.